التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة العشرون، العدد الخامس، شباط ٢٠٢٤

مختارات آبائية / حياة روحية / كتاب مقدس / لاهوت

القديس يوحنا مكسيموفيتش، ركّزْ على الأبدي

القديس بيدا، أفكار مضطربة أثناء الصلاة

القديسة أرسانيا من دير أوست ميدفيديتس، الطريق لتصبح إنساناً

النفس تُعطى المحبة بعد أن تتنقى

القديس لوقا رئيس أساقفة سيمفروبول وسائر القرم، عظة في أسبوع الفريسي والعشار

الأب فيليب لوماسترز، عظة في أحد الكنعانية

جورج تسونغرانيس، موازنة الصوم الكبير

الأب تيودور دورانس، أدوات الصوم الكبير

الخورية سميرة عوض ملكي، الأخوّة في الكنيسة

إحدى المؤمنات، في التقليد والرعاية والتعبير عنهما

ركّزْ على الأبدي

القديس يوحنا مكسيموفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كما أن أحد اهتماماتنا الأساسية هو انتباهنا لئلا يضر أي شيء بصحتنا الجسدية، كذلك ينبغي أن ينصبّ اهتمامنا الروحي على ألّا يضرّ أيّ شيء بحياتنا الروحية وعمل الإيمان والخلاص.

لذلك، قدّرْ دوافعك الداخلية بعناية وانتباه: هل هي من الله أم من روح الشر؟

احذرْ إغراءات هذا العالم والناس الدنيويين؛ انتبه من التجارب الداخلية الخفية التي تأتي من روح اللامبالاة والإهمال في الصلاة، ومن انحسار المحبة المسيحية.

فإذا وجهنا انتباهنا إلى أذهاننا نلاحظ سيلاً من الأفكار والآراء المتتالية.

هذا السيل لا ينقطع؛ إنه يجري في كل مكان وفي كل الأوقات: في المنزل، في الكنيسة، في العمل، عندما نقرأ، عندما نتحدث.

يقول الأسقف ثيوفان الحبيس: "إن هذا يسمى في العادة تفكيراً، لكنه في الحقيقة اضطراب في العقل، وتشتت، ونقص في التركيز والانتباه".

يحدث الشيء نفسه مع القلب. هل سبق أن راقبتَ حياة القلب؟ جربْ الأمر ولو لفترة قصيرة وانظر ماذا تجد.

يحدث شيء غير سار، فتشعر بالغضب؛ تحدث بعض المصائب، فتشفق على نفسك؛ ترى شخصاً لا تحبه، فيتفجر العداء في داخلك؛ تقابل أحد أقرانك الذي سبقك على المستوى الاجتماعي، فتروح تحسده؛ تفكّر في مواهبك وقدراتك، فينتابك الشعور بالفخر.

وهذا كلّه يمكن أن يعبُر القلب في غضون دقائق.

لهذا السبب، أحد النساك الذي كان منتبهاً لنفسه للغاية، كان محقاً تماماً في قوله إن "قلب الإنسان مملوء بثعابين سامة. وحدها قلوب القديسين هي التي تتحرر من هذه الثعابين، من الأهواء".

لكن هذه الحرية لا يمكن تحقيقها إلا من خلال عملية طويلة وصعبة من معرفة الذات، والعمل على الذات، والانتباه على الحياة الداخلية، أي النفس.

احرصْ. انتبهْ لروحك! اصرفْ أفكارَك عمّا سوف يزول قريباً ووجّهْها نحو ما هو أبدي.

هنا ستجد السعادة التي تبحث عنها روحُك، والتي يتعطش إليها قلبُك.

Source: Saint John Maximovitch. Focus on the Eternal. Translated from Pravoslavnaya Rus. Orthodox America, Vol. XIV, No. 2-3. Sept – Oct. 1993, taken from https://enlargingtheheart.wordpress.com/tag/watchfulness/

أفكار مضطربة أثناء الصلاة†

القديس بيدا*
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إنَّ البعض عند دخولهم الكنيسة يطيلون ترنيمهم للمزامير أو يطيلون صلواتهم بكلمات كثيرة، ولكنْ لأن قلوبهم موجهة إلى مكان آخر فإنهم حتَّى لا يفكرون في ما يقولون.
إنهم يصلّون، بالتأكيد، بأفواههم، لكنهم يحرمون ذهنهم الذي يجول في الخارج من كل ثمار صلاتهم.
العدو القديم يدرك فائدة الصلاة، ويحسد الإنسان على هبة استجابة طِلباته، فيرسل إلى المصلين أنواعاً كثيرة من الأفكار التافهة، وأحياناً خيالات كثيرة عن أشياء مخزية ومؤذية.
وبهذه الطريقة يستطيع أن يتدخل في الصلاة بطريقة تجعلنا أحياناً، عندما نسجد في الصلاة، نتحمّل دفقات كبيرة من الأفكار التي تجري في كل اتجاه.
[...] يجب أن نحرص على الانتصار على حقد الشيطان المعروف وتطهير أذهاننا قدر استطاعتنا، من كل نوع من الغمام الذي يفرح العدو بنثره، وتوسُّل الحماية المستمرة من المدافع المحسن القادر أن يمنح الذين يتوسلون إليه، مهما كانوا غير مستحقين، نعمةَ الصلاة بطريقة نقية ونعمةَ استجابة طِلباتهم بالكامل.
ما سوف يفيد جداً لطهارة صلاتنا هو أن نمنع أنفسنا في كل مكان وزمان عن المحرمات، إذا ضبطنا دائماً سَمَعَنا وكلامَنا من جهة الأحاديث الباطلة، إذا عوّدنا نفسنا على السير في شريعة الرب وحفظنا شهاداته بكل قلوبنا (مزمور ١١٨:١-٢).
مهما كانت الأمور التي اعتدنا أن نفعلها، أو نحكيها، أو نسمعها في أغلب الأحيان، فإن هذه الأمور نفسها ستعود حكماً إلى أذهاننا وغالباً كما لو أنها في مكانها المعتاد والمناسب.
وكما اعتادت الخنازير على أماكن تألفها للتمرغ في المستنقعات، واعتادَ الحَمام على مجاري المياه الجارية المعتادة، كذلك فإن الأفكار النجسة تزعج العقل النجس، والأفكار الروحية تقدّس العفيف.
إذا قمنا، على مِثال المرأة الكنعانية، بمواصلة صلواتنا بثبات، وبقينا على هدف ثابت، فمن المؤكد أن نعمة خالقنا ستكون معنا لتصحيح كل ما هو خطأ فينا، ولتقديس كل ما هو نجس، ولتهدئة كل ما هو مضطرب.
إنه أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم، إذا صرخنا بصوت أذهاننا المنتبه إلى الذي يحيا ويملك مع الآب في وحدة الروح القدس، الإله إلى أبد الآبدين.

†حول متى ١٥:٢١-٢٨، المرأة الكنعانية

* القديس بيدا " (672 - 735) Bede " هو أحد القديسين الغربيين من قبل الانشقاق. كان راهباً في دير نورثمبريا في بريطانيا. هو معروف كمؤلف وباحث، أشهر أعماله هو "التاريخ الكنسي للشعب الإنجليزي"، والذي أكسبه لقب أبو التاريخ الإنجليزي. كتب القديس بيدا في العديد من المواضيع الأخرى، من الموسيقى والمقاييس الموسيقية إلى شرح الكتاب المقدس. تحتفل الكنيسة الأرثوذكسية بعيده في ٢٧ أيار.

Source: The Venerable Bede: Homilies on the Gospels, 1:22 (Lent), “Homilies on the Gospels, Book One, Advent to Lent”, trans. Lawrence T. Martin and David Hurst OSB (Kalamazoo: Cistercian Publications, 1991) taken from https://enlargingtheheart.wordpress.com/tag/watchfulness/

الطريق لتصبح إنساناً

الجزء الرابع من "إرشادات روحية للقديسة أرسانيا من دير أوست ميدفيديتس"

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

بدون الله، بدون معونته ونعمته، لا يمكن للإنسان حتى أن يقترب من مفهوم الصلاح الروحي. ما الذي يستطيع الإنسان فعله؟ شيء واحد فقط: أن ينحني أمام مشيئة الله وأن يصرخ إليه بتواضع الروح قائلاً "قُدني أيها الرب حيثما تشاء وأعني لأتمم مشيئتك" وكم هو سهلٌ وخلاصي أن يسلك المرء السبيل الذي يقود إليه الرب.

فهل يسر الرب بأن يلبي طلبنا ويمنح حياتنا السلام والهدوء؟ إذا كنا لا نجرؤ على طلب شيءٍ ما من شخص آخر بإصرار، فبالأولى يجب ألا نطلبه من الله ونتوقع أنَّه سيتحقق بالتأكيد. إننا لا نعرف حتى ما هو صالح وما هو سيئ بالنسبة لنا. ولكن يمكننا أن نرى معونة الله ورحمته لنا في أنه يسمح لنا أن نحتمل ما لا يطاق بصبر وتواضع وخضوع لمشيئته المقدسة.

بدون الرب لا يمكننا نيل أي شيء، وبدونه لا يمكننا إعطاء أي شيء. هو يمنحنا كل شيء بنعمته. أولئك الذين أحبوا رأوه في كل مكانٍ وفي كل شيء، وقد كشف لهم كلمته الحية، كشف مشيئته وطرق عنايته. كيف تُكشف ومن خلال ماذا؟ من خلال نقاوة قلوبهم. علينا بنعمة الله أن نحفظ قلوبنا من الأهواء. أن نحفظها قبل كل شيء من الشك ومن الكبرياء. علينا أن نحفظها من الكذب ومن تبرير الذات، ومن الكراهية واحتقار القريب. إذا ما تمكنا بمعونة نعمة الله من منع هذه الأهواء من تملُّك قلبنا، فإنه سيصبح بمقدوره أن يقبل توجيهات كلمة الله ويتبع مشيئته.

إن التعزية والمخرج الوحيدين من أي اضطراب وتجربة هو التواضع. إنه السبيل الوحيد الذي يقود النفس إلى الحقيقة التي توضح كل شيء، وإلى الدفء الشافي، وإلى الحرية المُعتِقة. إذا ما خسرت سبيل التواضع هذا فإن النفس ستحاط بالظلمة وسوف تنقبض وترزح تحت الضغط. ذلك يقود إلى استنتاج خاطئ وكارثي، لأن المنطق الخاطئ ينظر إلى كل شيء من منظار خاطئ: جميع الظروف تبدو مرةً وكارثية ولا تستطيع رؤية طرق الله فيها، والأحكام الفائقة لعنايته المخلصة. لا يعود الناس أخوة بلا أعداء، وتزداد ضعفاتهم إلى أقصى حدودها.

تصبح ضعفاتنا الشخصية مريعةً بل وصوراً حيةً للعذاب الأبدي. نعم، هناك سبيل خلاصي واحد ألا وهو التواضع.

حيث توجد الأهواء يوجد الضيق والألم. إنه لأمرٌ لا جدال فيه أن الأهواء تعشش في قلوبنا، ولكنها لا تصبح معروفةً ومكشوفةً لنا بثقلها غير المحتمل عندما لا نكون مدركين لوجودها بل نشبعها بكل بساطة. إنها لا تضعف حتى عندما ندرك وجودها ونقاومها. ولكنْ، عندما ندرك وجودها داخلنا ولا نرغب بالتمرد ضدها بكل قوة نفسنا، عندما نرفضها بجزء من نفسنا ونصغي بالمقابل إلى كلامها المعسول بالجزء الآخر، حين ندير ظهرنا للتوبيخ ونشعر بالأسى على أنفسنا ولا نكون شجعاناً بما فيه الكفاية لنتبع معلمنا حامل الصليب على طريق الصليب، عندها وبكل تأكيد سنشعر بالعذاب والألم. إن ربنا الذي أخذ على نفسه كل خطايانا وضعفاتنا، أظهر لنا مثالاً لجهاد الإرادة. في بستان الجسثيمانية، تعذب إلى أن قبلت إرادته بالآلام. اختبر قلبك وسترى أن هناك الكثير من النزاعات بداخله. علينا مرة وإلى الأبد أن نسلم نفوسنا لما ترشدنا إليه مشيئة الله، ولاتباع وصاياه، ولإرشادات القوانين الرهبانية الصارمة. حين توافق النفس يصبح الأمر سهلاً.

إن الرب يخلصنا بكل الوسائل. إن الأمراض الجسدية الخطيرة التي كثيراً ما تصيبنا دائماً ما تذكرنا بالموت. وما الذي يمكن أن يكون أنفع للنفس من تذكار الموت؟ إنه يحررنا من كل الميول الأرضية، ويسمح لنا بمعرفة قيمة الشؤون الأرضية، والأهم من ذلك أن يساعدنا في السعي للحياة المستقبلية. فليمنحك الله أن يجلب مرضك ثمرة إلى نفسك: ثمرة الخلاص. إننا نؤمن أن كل ما يصنعه الرب إنما هو لمنفعتنا وخلاصنا الأبدي.

عوضاً عن رغباتنا يجب أن تقوم وصية الله، مشيئة الله التي تقودنا إلى الحياة الأبدية. إذا كنت في الحرب، فهل يمكنك القول إنك لا تريد الذهاب للقتال؟ لا، بل ستذهب بدون تفكير إلى موتٍ محتم. إذا كانت هناك معركة روحية قريبة، إذا كانت وصايا الله تستدعي جهاداً، كيف يمكننا أن نقول إننا لا نريد القتال وإنه من الأفضل أن نسلم أنفسنا كأسرى لأعدائنا؟ يا له من عار! وأي رعبٍ سيختبره من يتراخى في إرادته إلى هذه الدرجة في هذه الحياة؛ وفي الحياة المستقبلية ستتحمل نفسه عاراً أشد عندما تنكشف كل أفعالها وأفكارها! يجب أن تتضرع إلى الله وتصلي أن يقوي إرادتك لتقاوم الأفكار الأهوائية وتوجّه جميع قوى النفس وتطلعاتها ورغباتها إلى أهدافٍ عُليا، أهدافٍ مقدسة وسامية ونبيلة. كل انغماسٍ في أهواء المرء يقتل فيه نقاوة المشاعر الأخلاقية. إن الضمير، ذاك الناموس الأخلاقي الطبيعي المكتوب في قلوبنا، يصبح أصمَّ إذا لم نصغِ إليه وإذا تصرفنا بعكس ما يحضنا على فعله. ما معنى قولنا "هل أريد أم لا؟"، لا معنى لهذه الكلمات عندما يتعلق الأمر بالناموس الأخلاقي لخلاص نفوسنا.

جميعنا مدانون بكلمة الله المعطاة لنا لإرشادنا في الحياة ولخلاصنا ولإظهار طريق الحياة الأبدية ولتنقيتنا. إنها تديننا حين لا نصغي إليها، حين نتعداها. وستديننا أيضاً في الحياة المستقبلية. من المخيف أن يخطئ المرء أمام كلمة الله. ذلك مخيف لأن القلب يصبح قاسياً وتتوقف كلمة الله عن العمل فيه. إن هذه الحالة أسوأ من الموت الجسدي. لا تداعب مشاعرك لأنها مثل النار قادرة على تدمير كل شيء في النفس والقلب والذهن. ستحرق كل ما زرعته كلمة الله، تاركة النفس مع أهوائها وخطاياها فقط. علينا حفظ نقاوة الجسد والنفس، وإلا فإن النفس ستموت موتاً أبدياً، وهذا الموت أرهب من أي شيء في السماء أو على الأرض. تمعن في سير القديسين كيف أن الناس الصالحين جاهدوا وطلبوا الرب بكل قوة نفوسهم وأجسادهم.

اتخذ الرب يسوع الطبيعة البشرية لكيما يطهرها من الخطيئة الجدية، ومات ميتة مخزية على الصليب لكي يميت الخطيئة. وعبر قيامته وصعود طبيعتنا إلى السماء، أعطانا القوة لنكون أبناء الله. إننا بالمعمودية نتلقى عربون هذه البنوة. وإذا ما أردنا، فإنه يمكننا تلقي جميع مواهب نعمته. عبر المعمودية عبرنا الباب الذي فتحه لنا الرب نفسه. إذا تبعنا طريق وصاياه وتبعنا كلمته ومثال حياته، إذا اشتركنا في صلاحه وحقّه، عندها فإن الخطيئة الجدية لن تعمل فينا، بل ستعمل نعمة المسيح. علينا أن نقتني إيماناً بالفادي وأن نؤمن أنه فقط ببره هو يمكن أن نخلص من إثمنا. إننا نتقدس بقداسته، وبنقاوته يتطهر جسدنا. بدون الرب يسوع المسيح كان الجنس البشري بأكمله سيهلك بالخطيئة، بدون الرب، كل نفسٍ ستهلك في خطيئتها. ولأننا نتبع الخطيئة وإرادة جسدنا فإن الخطيئة تتجذر فينا وتتسلط على نفسنا وذهننا وقلبنا. إنها تقف كحائط بين النفس والرب. لذلك من الضروري أن نصرخ إلى الرب في الصلاة لكيما يأتي إلى النفس ويدمر هذا الحاجز.

أحياناً تبقى الأهواء وتستبد بقلوبنا، بغض النظر عن إرادتنا، حتى ولو كانت ضد إرادتنا. إن الرب يسمح للأهواء بتعذيبنا بهذه الطريقة لكيما ندرك عجزنا تماماً ونتواضع بالروح ونطلب القوة في إلهنا الواحد القدير القدوس.

يعيش الإنسان حياةً أرضية، كل ما فيها مائت وزائل. تتبدل الظروف وتتغير مشاعر الإنسان وتزول. إذا عاش المرء وقفاً للظروف والمشاعر فقط، فإنه يتذوق الموت بشكلٍ دائم، كل ما في حياته يموت، وهو نفسه يكون تحت حكم هذا الموت. عندما يطلب الإنسان الربَّ في هذه الحياة الوقتية المتغيرة، وعندما تعلمه كل ظروف حياته أن يعرف الرب، فإن كل شعور موجه حسب وصية الله يقربه من التأمل في الرب، مطبوعًا في قلب نقي. عندما يقوم الرب في النفس البشرية يبطل حكم الموت، لأن الظروف المميتة، المشاعر المميتة، قادت الإنسان إلى حالة الخلود وتذوقها لم يجلب الموت، بل الحياة. عندما يعيش الإنسان بالأمور الفانية فقط، فإن الشرير يستخدم كل الظروف والمشاعر الأرضية لينصب فخاخه. إذا تحول هذا الموت إلى عدمِ موتٍ بالنسبة للإنسان، وإذا ما قاده إلى معرفة الرب في ظل ظروف الحياة الأرضية، وإلى الاتحاد معه بالروح من خلال المشاعر الأرضية، فإن شباك العدو تتمزق، والرب الذي حصل عليه الإنسان عبر الحياة المائتة يصبح عُتقاً من الدمار الذي كان العدو يُعدّه بشباكه التي أخفى فيها سماً قاتلاً. كل هذا بالروح وكل هذا تختبره النفس، وفي داخلها، في حياتها، تدرك تفسير كلمة الله.

إن طريقنا هو طريق الخطأة، وهذا ما نحن عليه في الحقيقة. علينا أن نتواضع ولا ننحرف عن طريق التوبة هذا، ولا نبلس زي الإنسان البار فيما نحن خطأة، ولا نبحث عن طرقٍ لتبرير أنفسنا، بل يجب أن ننتظر ونؤمن أن تبريرنا هو المسيح.

يوصينا الرب بأن نتصالح مع خصمنا ما دمنا معه في الطريق. ما دمنا في طريق الحياة يمكننا أن نصفي هذه الحسابات عبر التخلي عما يعيقنا في طريق الارتقاء الروحي، عبر التخلي عن كل ما يرافقنا في هذه الحياة. حين ينتهي طريقنا لن تكون هناك أشياء أو مشاعر يجب التخلي عنها، لن يكون هناك سوى الفقر الروحي وغنى العذاب الروحي، مثل المدين الذي لم يتمكن من سداد دينه. لا يعاني المدين دائمًا من مجرد تأنيب ضميره، بل يعاني بالأكثر من كونه محروماً مما تخيَّل أنه يملكه. إنه محروم من كل مقتنياته واطمئنانه وحريته. نعم، علينا أن ندفع دَيننا لخصمنا ما دمنا معه في الطريق، وذلك عبر التخلي.

Source: St. Arsenia of Ust-Medvedits. The Path of Becoming Human. Spiritual Instructions of St. Arsenia of Ust-Medvedits. Part 4. Translation by Jesse Dominick. Azbyka.ru. 11/1/2023. https://orthochristian.com/156944.html

النفس تُعطى المحبة بعد أن تتنقى

الجزء الخامس من "إرشادات روحية للقديسة أرسانيا من دير أوست ميدفيديتس"

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إذا لم تعطِ جسدك أية راحة، وبالرغم من كل تعبك أرغمت نفسك لتصلي وتجمع أفكارك وتبحث عن إحساس بالتوبة في قلبك، فإنك لن تبلغ سلام الذهن أبداً، بل على عكس ذلك ستكون دوماً مشوشاً في أفكارك ومُثقلاً في روحك. يقول القديس باسيليوس الكبير "إذا كانت الراحة تؤذي جسداً شاباً يتمتع بالصحة، فإن العمل المفرط يسبب أذىً أشدَّ بما لا يقاس للجسد المريض والضعيف". لا حرج في أن نمنح أنفسنا القليل من الراحة الإضافية، أو بضع ساعاتٍ أو حتى دقائق من روحٍ مفعمةٍ بالحيوية ومشاعر جديدة وأفكارٍ صافية. وإلا فإننا قد نصل إلى حالة من التشويش. إن الرب يطلب منّا القليل جداً: روحاً متَّضعاً فقط، وهو يمنحنا كل شيء بنعمته. عندما يمنح الرب النفس فرح خلاصه فإنها تدرك أنها وجدته حيث فقدت ذاتها، وأنها شعرت بإحساس الخلاص حيث تذوقت مرارة الموت، وأنها مجدت الرب الذي كان يخلصها حين بانت كل حيلها لتخليص نفسها باطلة. أيها الرب، أنت خلاص نفسي.

لا تملك النفس القوة في أي وقتٍ للتغلب على الأهواء أو على الأفكار حول الأهواء. الرب يتغلب عليها بقوة نعمته. إن العمل الصحيح الوحيد للنفس التي تسكن على أنهار بابل هو أن تجلس وتبكي (مزمور ١٣٦:١).

إن تربة قلبي ستنبت دوماً أعشاب الأهواء. تُقتلع هذه الأعشاب بصعوبة، باليقظة الدائمة على القلب. تضعف الإرادة، إذ تراهم بالذهن وتعمل عليهم باسم الرب يسوع المسيح.

إن ضعفاتنا لن تدمرنا، ولكن عدم الإيمان قد يدمرنا، فليُنجّنا الله من هذا برحمته. يجب أن نعرف حجمنا، يجب أن نلتزم بالكلمة التي تلائم قياسنا: قياس الإنسان الذي لم يتجدد. بعرق جبينك تأكل خبزك (تكوين ٣:١٩). هل من الملائم لنا أن نحلم بالرؤى الروحية في حين أننا لم نبدأ حتى بالتعرق من العمل لكسب خبزنا اليومي، وتربة قلبنا تنبت دوماً أعشاباً وأشواكاً؟ يا رب ارحمنا بعظيم رحمتك!

إن الأنانية تستحوذ على كل شيء لنفسها في كل مكان ولا تريد إعطاء شيءٍ لقريبها. وكيف يمكن للنفس أن تحب قريبها وهي تشعر أنه قد استولى على كل شيء منها، وكأنه له ذاتَ الحقوق في كل شيء؟ لذلك فهي تراه عدواً لها وتكرهه. عليك أن تجرد نفسك من كل شيء لكي تتخلى عن كل شيء للقريب، وعندها فإن النفس، برفقة قريبها، ستجد الرب.

تُعطى النفس المحبة التي تحتمل كل شيء بعد أن تكون قد تنقت، لا من الارتباطات فقط، بل وأيضاً من الأهواء. عملنا هو أن نميّز هذه الرباطات والأهواء داخل أنفسنا ونعمل على قطعها. ولكننا ما كنا لنتمكن من اكتشافها في داخلنا ما لم يكشفها الرب لنا، مُرسلاً ظروفاً تكشفها في داخلنا انطلاقاً من محبته للبشر. إن الهوى يتم إدراكه في القلب حين يشعر المرء بثقلٍ ضاغطٍ ومُعذبٍ، يقلق أفكار الروح ويسبب اليأس. إلى أن تشعر النفس بالحرية، إلى أن تتذوق السلام والحب، لا تظنَّ أن رباطك قد تحطم. لقد أصبح مريراً واتخذ شكلاً مختلفاً وحسب، وبهذا الشكل أصبح من الممكن التعرف عليه. عندما يكون الرباط حلواً يصعب تمييزه، بينما عندما يكون مراً يسهل ذلك.

يجب أن نتحلى بالصبر في أتعابنا، ثم نصبر أكثر، فأكثر، فغاية الصبر هو العمل، وغاية العمل هو الاحتمال بصبر. لا ينبغي أن يتجاوز العمل هذا، ولا ينبغي أن يقف الصبر عند هذا. ولكن بدون الرب فإن النفس لن تحقق أياً من ذلك، ومجدداً، تتعب وتحتمل بضعفٍ ولومٍ للذات.

يجب أن تعمل قانونياً وبكل قوتك لكي تعمل روحك وتكبح وثبات الذهن بالصبر ووثبات القلب بالتواضع، وليس هذا فحسب، بل وأيضاً لتتمكن النفس دوماً من معرفة الربَّ الواحد في كل شيء.

هناك سبيل للتوبة، وبالتالي توجد مختلف الدرجات والتحوّلات والتحسينات في هذا السبيل. يجب ألا "نقفز" اعتباطياً إلى درجة أعلى فيما لا نزال في الدرجة الدنيا، طالبين ما هو في الدرجة العُليا.

إنَّ "الأنا" تعمل في كل شيء. تحاول إصلاح الظروف الصعبة بنفسها، تبرر نفسها، تحاول تقويم نفسها، وتنتزع النفس في غير أوانها من الحالة التي وضعتها فيها الظروف التي سمح بها الرب، حيث كان من الممكن أن تتعلم تأنيب الذات والتواضع وإنكار الذات لو أنها صبرت وانتظرت كما ينبغي لها أن تفعل.

لا شيء يمكن أن يكون أكثر نفعاً للإنسان من معرفة محدوديته. لأنه عندها سيتعامل مع كل شيء بشكل صحيح ولن يكون على الطريق الخاطئ. لذلك فإنَّه من المهم للغاية أن يكون لدى المرء مرشد يمكنه أن يحدد بدقة حالة الشخص الذي يرشده ومحدودياته.

طالما أننا نسلك بحسب الجسد فإننا سنرى قريبنا مديناً لنا: نطالبه بالعدالة القانونية وبقداسة النعمة كميراث مشترك للبشرية. ندينه ونكرهه ونضطهده ونعذبه حين لا يعطينا ما يحق لنا. ولكن عندما نكون مقادين بالروح، وعندما يسكب روح الله كل غنى نعمته في أرواحنا، فإننا لا ننتظر شيئاً من قريبنا، إننا نغفر له دينه بل ونتوقف عن رؤيته كمدين لنا.

الصمت ينقى الذهن من الأفكار. إن إدراك خطيئتنا وعدم عقلانيتنا وعجزنا وقصورنا في كل شيء يقود الروح إلى إيمان العقل. إن رفضنا لرغباتنا في كل شيء يقود إلى إيمان فعالٍ يُعبر عنه ببساطة وتواضع عظيمين. البساطة تقود إلى نقاوة الذهن والتواضع يقود إلى نقاوة القلب.

إن لدى النفس رغبة طبيعية في الصلاح. إنني أسمي هذا التوق بـ "دعوة الله"، التي تعمل بقوة كبيرة في بعض النفوس لدرجة أن لا شيء أرضي يمكنه إرضاؤها.

إن تذكر الموت بشكل متواتر ينتج عنه خوف الله. إنه منبه دائم بأنك ربما تعيش اليوم الأخير أو الدقيقة الأخيرة من حياتك. ونعمة الله تزرعه في القلب. تصلي الكنيسة المقدسة: ازرع خوفك في قلوب خدامك.

إن طريق الخلاص قاسٍ، وأحياناً يكون الكلام حوله قاسياً أيضاً، إنه سيف ذو حدين يقطع الأهواء والشهوانية مسبباً ألماً في القلب الذي قُطِعَت منه. وهل سيكون هناك وقتٌ كافٍ لهذا السيف ليقوم بكل ما يجب فعله في قلبنا؟ كلا، سيكون هناك دوماً المزيد من العمل الواجب القيام به. ما من نهاية لعمل التنقية الروحية، وسيوجد في كل قلبٍ شيءٌ من عدم النقاوة التي تحتاج إلى تطهير.

إن قوة الحقيقة هي قوة حية، وبتواصلها مع النفوس تُشكلها في صورة واحدة. فليُقوِّنا الرب جميعاً وليساعدنا لنثبت في الحق الذي هو الربُّ نفسه، والطريق إليه هو في داخلنا من خلال ضعفنا وملء خطيئتنا. نعم، إنه ليس طريقاً باطلاً ولا مُخترَعاً ولا مُفتعلاً. الرب نفسه قال ألا نبحث عنه في أي مكانٍ أو أيةٍ حالة، لأنه هو نفسه سيظهر. وهو يظهر حقاً، جالباً السلام والقوة والنور إلى النفس الهالكة والضعيفة والمظلمة. عندما نطارد الحالات فإننا لا نصطاد سوى الوهم.

عندما يصل العجز إلى أقصى حدوده في نفوسنا، بحيث لا يبقى هناك أمل في أي عمل أو أي منطق، عندها في تلك اللحظة، وتلك اللحظة فقط، نشعر روحيًا بمساعدة الله الخاصة، أو بالأحرى، نشعر بمعرفته وقوة أفعاله في النفس.

يرسل لنا الرب أحزانًا على الأرض، وهذه الأحزان تمزق ارتباطنا بالأرض، أو بالأحرى، تقطع تعلقنا المفرط بكل ما هو أرضي. وهذا يعني أن الأحزان هي أيضًا هبة من الله.

عندما يفهم الإنسان نفسه فإنه سيأتي حتماً إلى الرب. أما إذا طلبه داخل ذاته، أي في فضائله وأتعابه وأمثالها، فإنه لن يجده – هو الوحيد الذي يخلّص – بل سيجد نفسه. وهذا لا يحدث بشكل عام فقط، بل حتى في الانحرافات الفردية في عمل "الأنا".

جميع عطايا الله – الخلاص والرحمة للنفس – ننالها من خلال الرب يسوع، الوسيط الوحيد بين الله والإنسان، ولذلك ندعوه بإيمان، دون أن نفهمه، ودون تفكير. إن رفض الذات والإيمان يقودان النفس إلى البساطة، ويؤسسان في النفس فهمًا لا يتزعزع لضآلتها، ويظل ثابتًا، بغض النظر عن نعمة الله التي تظهر للنفس في عالم الأفكار أثناء الصلاة اليقظة والحارة، أو عندما تكون النفس باردة، مشتتة، غافلة، أو حتى سارحة. ومن العجيب أنه في هذه الحالة أو تلك، متى استقر الفكر في النفس، يبقى على حاله ولا يتزعزع، على الرغم من تغير حالة النفس. وهذا الثبات يخلق نوعاً من الرسوخ في الروح، فلا يرتفع في الأحوال الجيدة، ولا

يحزن في الأحوال السيئة. وفي كلتا الحالتين، الإنسان هو نفسه – خاطئ يحتاج إلى رحمة الرب. إن الاهتمام المفرط بحالات الفرد يمكن أن ينقل النشاط إلى عالم الحواس، وليس إلى الروح، لأن التباين يحدث في عالم الحواس بشكل أكبر، وهو متأصل فيها. ومن ثم، لا ينبغي للمرء أن يعير الكثير من الاهتمام سواء للأفكار أو المشاعر. شيء واحد علينا أن نعرفه وهو أن الأفكار والمشاعر خاطئة ونجسة ولا يمكن أن تكون غير ذلك، لأنها تصدر من ذهن وقلب غير طاهرين، ولا يمكن توقع شيء أفضل داخل أنفسنا؛ إن نقاءنا وخلاصنا وتطهيرنا واستنارتنا هي الرب الواحد. إنه لا يتغير، لا يتزعزع، ولا يتبدل. ومن هذا الإيمان المزدوج – بخطيئتنا وبثبات الله – تصبح روح المؤمن أيضًا ثابتة لا تتزعزع.

عندما تستقيم الروح بشكل صحيح، تصبح الصلاة أنفاسها، تصبح أساسية وتقوم بها على نحو ملائم. وهدوء الأفكار وسلام الحواس يمنحهما الرب للنفس الملتصقة به بالإيمان والصلاة. فلا يمكن لأحد أن يحقق هذا في نفسه، ولا حاجة لبذل جهود كبيرة للحصول عليه.

إن الرغبة والسعي من أجل الخلاص هو النشاط الوحيد للروح البشرية الضروري في عمل الخلاص. إنه لا يخلص الإنسان، لكنه شرط ضروري للخلاص. هذه الرغبة تسبقها دعوة الله وتؤكدها قوة الله، ولكن هذه الرغبة، رغم أنها قد تكون ضعيفة (مثل كل الأشياء البشرية)، تأتي من الإنسان.

كثيرًا ما يحثنا الآباء القديسون، في إرشاداتهم الروحية، على أن نطلب من الرب الحكمة إذا لم تكن لدينا؛ ونطلب القوة عندما نكون ضعفاء. ونطلب الصبر إذا تعبنا في الأحزان؛ وعلى العموم أن نسأله الخير كله.

قال المعلم الإلهي لتلاميذه: "أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به" (يو ١٥: ٣). وكل مفهوم حقيقي أساسه كلمته الإلهية له نفس القوة جزئيًا. إن الحق الذي نقبله بالإيمان يطهر النفس من الضلالات التي كانت فيها وتعيش بها. من الخطر جدًا الدخول بشكل مكثف في أي نوع من العمل الروحي. من المستحيل الدخول في فهم بعض المفاهيم الروحية بجهد مُضنٍ. لكي تفهم روح الإنسان فهماً كاملاً، أو حتى فهماً صحيحاً إلى حد ما، عليك أن ترى هذا الإنسان وتتحدث معه - فمن المستحيل اتخاذ قرار دقيق بناءً على ما يقوله شخص آخر.

إذا كان هناك شيء صالح، فمن المستحيل عدم رؤيته، وعدم الاعتراف به على أنه خير، ولكن يمكن ويجب أن يُنسب إلى الرب، الأمر الذي سيكشف عن سبب جديد لتتواضع النفس أمام القدوس والمخلص الواحد وتوقره. إن المديح، الذي يكون في بعض الأحيان ساراً على المستوى البشري ومتسامحًا مع الذات، يمكن أن يكون مفيدًا كوسيلة لإيقاظ الروح اليائسة.

في الحفاظ على الطهارة

ولكي نحافظ على طهارة الجسد، علينا أن نحافظ على طهارة القلب والذهن. لذلك نحن بحاجة إلى الصلاة، وإلى الاهتمام بقلوبنا، ونحتاج إلى العمل على أنفسنا. إذا لم نتمكن دائمًا من الحفاظ على الدفء، لأنه عطية من الله، فيمكننا دائمًا أن نقوي في داخلنا تصميم الإرادة على العمل ضد الأهواء؛ يمكننا أن نشعل في أنفسنا الرغبة في الكمال؛ يمكننا أن نغصب أنفسنا على الجهاد من أجل حفظ وصايا الله، التي لم تُعطَ لنا لنعمل بشكل تعسفي سواء أردنا ذلك أم لا؛ لا، نحن ملزمون بالعمل بها، وإلا فسوف نهلك إلى الأبد. أنا أحثك: من أجل الله ومن أجل تحقيق مشيئته المقدسة، اغصب نفسك على تحمل عيوب أقربائك؛ لكن كن صارمًا ومتطلبًا مع نفسك ومع عيوبك. سيكون من الجيد لك أن تقرأ أحيانًا سير القديسين وأن يكون لديك على الأقل قانون صلاة صغير ولكن ثابت.

Source: St. Arsenia of Ust-Medvedits. The Soul is Given Love After It's Been Cleansed. Spiritual Instructions of St. Arsenia of Ust-Medvedits. Part 4. Translation by Jesse Dominick. Azbyka.ru. 11/2/2023. https://orthochristian.com/157083.html

عظة في أسبوع الفريسي والعشار

القديس لوقا رئيس أساقفة سيمفروبول وسائر القرم

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

أوصانا الآباء القديسون بقاعدة خلاصية مهمة جداً، وعلى الأرجح أنه ليس جميعكم ينفّذونها. القاعدة هي أنه كلَّ مساء قبل الخلود إلى النوم، اجلس لفترة قصيرة وفكّر في كل ما حدث في هذا اليوم: كل أفعالك، وأعمالك، وأفكارك، وكل سلوكك، وكل كلماتك، وتعمق في ما إذا كنت قد قمت بأي شيء شرير أو سيء في هذا اليوم. وإذا وجدت شراً وسوءاً فثُبْ. هذه القاعدة مهمة جداً لأننا إذا اعتدنا أن نتذكر كل مساء ما فعلناه خلال النهار، وما قلناه وفكرنا فيه، فإذا وجدنا كل شيء سيئاً فسنستاء ونخجل؛ وسوف نصحح أنفسنا تدريجياً ونعتاد على عدم القيام بما فعلناه وما لاحظناه.

وإذا ما سار الأمر بهذه الطريقة فإننا سنتخلى بسرعة عن أفعالنا وعاداتنا السيئة ونتعلم ليس فقط أن نرصد قبل النوم ما ارتكبناه من أخطاء بل وأيضاً أن نقوم طوال اليوم بمراقبة أنفسنا وكل خطوة نقوم بها وكل كلمة نقولها؛ من الضروري للغاية مراقبة النفس للانتباه من فعل الشر والسعي لفعل الخير.

ولهذا السبب فإن هذه القاعدة مهمة جداً. ولكن حتى أولئك الذين يقومون بها باستمرار غالباً ما يظلون غير مبرَّرين أمام الله، لأنهم يتذكرون ما فعلوه في ذلك اليوم، وبالغالب يتجاهلونه، ولا يلاحظون الشيء الرئيسي والأكثر أهمية.

قال لنا ربنا يسوع المسيح: "لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟" (متى ٧:٣).

عندما نقرأ أو نسمع هذه الكلمات لأول مرة، يبدو الأمر غريباً بالنسبة لنا: كيف يمكن ألا تلاحظ الخشبة في عينك؟ في النّهَايَة، إن الخشبة تسبب الانزعاج والألم والمعاناة.

لكنْ الواضح أن هذا ممكن، وممكن تماماً، لأن كل أقوال المسيح صحيحة، وقوله هذا صحيح أيضاً.

غالباً ما لا نلاحظ الخشبة في أعيننا، لا نلاحظ الأمر الأهمَّ وأسوأ ما يُظلِم حياتنا، والذي سنقدم عنه إجابة ثقيلة أمام الله.

ما يحدث لنا هو ما حدث للفريسي، الذي صلى في هيكل الله مع العشار، وكانت صلاته غير مرضيَّة لله، إذ كانت عبارة عن سردٍ لكل فضائله وكل أفضاله أمام الله وتقديمِ الشكر عنها. وبتفاخره هكذا أمام الله أدانَ العشار الخاطئ أيضاً. لقد اعتبر نفسه باراً، فلم يلاحظ الخشبة في عينه، ولم يلاحظ ما استنكره الرب يسوع المسيح بشدة عند الكتبة والفريسيين بهذه الكلمات: " وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشِّبِثَّ وَالْكَمُّونَ، وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ: الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ" (متى ٢٣: ٢٣).

هو لم يلحظ ذلك، ولم يعتبر أنه أهمل الحق والرحمة والإيمان، بل فكَّر في صلاحه الطقوسي ولم تكن صلاته مقبولة عند الله.

كثيراً ما نكون مثل هذا الفريسي المتكبر عندما لا نلاحظ أهم ما يُظلم حياتنا وأكبر خطايانا التي نُغضب بها الله. غالباً ما لا نلاحظ أن الاتجاه العام لحياتنا ليس كما تقتضي وصايا المسيح مُطلقاً.

نحن نعتقد أننا إذا التزمنا بطقوس الكنيسة وذهبنا كثيراً إلى الكنيسة وأشعلنا الشموع، فكل شيء يكون على ما يرام، ولا نلاحظ أن حياتنا ليست مبنية وفقاً لوصايا المسيح، ولا نلاحظ أننا نعمل ليس للروح، بل للجسد، لا نلاحظ أن كل تطلعاتنا موجهة نحو رفاهية الحياة ومتعتها، ولا نلاحظ أننا لسنا روحانيين، بل طبيعيين.

إننا لا نلاحظ خطايانا الرئيسية: إن المخادعين جداً، الذين يكذبون باستمرار، لا يلاحظون ذلك في أنفسهم؛ إن الذين اعتادوا الزنا يعتبرون هذه الخطيئة المخزية غير مهمة، ويستمر محبّو المال في الانغماس في هذا الهوى؛ الفارغون والمتكبرون الذين يرفعون أنفسهم فوق إخوتهم ويدينونهم لا يلاحظون خطايا الإدانة والكبرياء المميتة.

كيف يكون ذلك ممكناً، لماذا لا نشعر بالخشبة في أعيننا، لكننا نلاحظ القذى فقط، بل وعلاوة على ذلك نلاحظ أنَّ هناك قذىً في عيون جيراننا أكثر مما في أعيننا؟ كيف لا تلاحظ أخطر خطاياك؟ وذلك يحصل، ويحصل بكثرة: عندما نخطأ كثيراً، فإننا نعتاد على تلك الخطيئة التي نرتكبها.

الآن، إذا كنا في كل مساء لا ننتبه لأنفسنا أننا نقوم بأمرٍ سيئ، فإننا نعتاد تدريجياً على عدم ملاحظة خطايانا ومَيلنا إلى الكذب والإدانة والشهوة، وعندما لا نلاحظ ذلك، فإن الخطيئة تتحول إلى عادة ونتوقف عن ملاحظتها، لأننا لا نلاحظها مُطلقاً؛ إننا لا نلاحظ شيئاً عادياً أو مألوفاً.

لا يسترعي انتباهنا إلا ما هو غير عادي وما هو ملفت للنظر، أما ما نراه وما نفعله كل يوم، وما يصبح عادة، فهو يمر دون مُلاحظة. وهكذا يحدث أننا لا نلاحظ الخشبة في أعيننا، وذلك يحصل كثيراً. يحدث هذا لنا جميعاً تقريباً. وهذا مخيف جداً. وما هو أسوأ من ذلك أننا قد لا نلاحظ أخطر خطيئة تفصلنا عن الله.

ما الذي أتحدث عنه؟ إننا نعلم من كتب الأنبياء وحياة الشهداء بين القديسين، ونقرأ مرات عديدةً أن الله دخل مباشرة في شركة مع الناس وكشف إرادته للأنبياء، كما لو أنه كان يتحدث إليهم ويخبرهم عما يُفترَض أن يعلنوه للعالم.

والشهداء القديسون، بعد أن عُذِّبوا بعذابٍ لا يوصف وتم إلقاؤهم في السجون، ظهر لهم الملائكة القديسون يقوونهم. في كثير من الأحيان ظهر لهم المسيح نفسه، وباركهم على العمل الصعب الذي كانوا مزمعين أن يقوموا به.

ولكنْ، ليس الأنبياء والشهداء وحدهم من يتحدث إليهم الله نفسه بشكل مباشر.

إن اهتمامه بخلاص الناس ومحبته للناس عظيمان جداً وبلا حدود، حتى إنه لا يتردد في التحدث مع أفراد، ولو لم يكونوا روحانيين تماماً، إنما على الأقل روحانيين إلى حد ما، فهو يتكلم ويوصي في الحلم كما في الحقيقة، ويكشف إرادته.

يا للروعة والعظمة! الله نفسه يتحدث إلى شخص وضيع حول ما يطلبه ويتوقعه منه. قد يبدو أنَّ هذا الشخص يجب أن يرتعد بقشعريرة لا توصف عندما يسمع صوت الله، وبعد أن يعود إلى رشده سيجاهد على الفور بحميَّةٍ لتحقيق ما أوصى به الله. لكن الشيطان يقف أمام القلب ويهمس: "لا ينبغي أن يتم هذا الآن، بل يمكن أن يتم فيما بعد، فالظروف الآن ليست مناسبة للقيام بما أمَرَ به. انتظر، انتظر، حتى تتغير الظروف، من ثم تتمم وصية الله."

إذا قبلنا نصيحة الشيطان الملعونة هذه في قلوبنا فسوف نؤجل تحقيق ما أوصى به الله، ليس فقط من يوم لآخر، بل من سنة إلى أخرى.

ولعل هذا هو أخطر الخطايا كلها. أوه، بالطبع هذا هو أسوأ خطيئة. أنتم تعلمون أن هذا ما فعله ذات مرة النبي القديس يونان الذي أمره الله أن يذهب إلى نينوى ويكرز هناك بالتوبة. لكن يونان لم يطِع، وقرر أن يهرب من الله. فركب سفينة متجهة في الاتجاه المعاكس إلى نينوى وفكر في الهروب من غضب الرب.

إن الله عاقبه على الفور: فأثار إعصاراً رهيباً في البحر حتى شارفت السفينة على التحطُّم. وصلى البحارة إلى آلهتهم طالبين منهم المساعدة. فكروا قائلين: "إن فينا من أغضب الله وأصابنا بسببه بلاء عظيم". وألقوا قرعة فوقعت القرعة على يونان. تم استجوابه، واعترف بأنه لا يريد تنفيذ أمر الله، وطلب هو نفسه أن

يُلقى في البحر حتى تهدأ العاصفة. وكان من المؤسف أن يترك صانعو السفينة يونان، لكن السفينة كانت على وشك التحطُّم، وأصر يونان على ألا يعفوا عنه؛ فطرحوه في البحر، وفي الحال هدأت العاصفة.

أُنظروا ما أفظع عصيان الرب! ترون كيف يعاقب الرب بشدة أخصاءه غير الطائعين: أمر أن يطرحوا يونان في البحر، وأمر أن يبتلعه حوت كبير قذف به إلى الشاطئ. لم يحكم الله عليه بالموت لِعِلمِه أن يونان سيتوب. وهذا مثال لنا. فلنتذكر أنه ليست جميع أوامر الله المباشرة هي ما يجب أن يُطاع فحسب، ولكن أيضاً نذورنا لله يجب أن نتممها فوراً وبدقّة، لأن عدم الوفاء بالنذور هو أيضاً خطيئة عظيمة.

إنكم ترون مدى صحة وأهمية كلمات المسيح عن الخشبة التي لا نلاحظها في أعيننا. صدقوني، صدقوني، إننا في كثير من الأحيان لا نلاحظ الخشبة التي في أعيننا نحن. صدقوني، خافوا من مثال النبي يونان، خافوا من عقاب الله لعدم تنفيذ وصاياه: خافوا ألا تلاحظوا أهم وأخطر خطاياكم، مثل الفريسي الذي اعتبر نفسه رجلاً صالحاً.

اعلموا أن الرب لا يتركنا حتى عندما نعصيه ونرفض أن نعمل مشيئته. إنه ينذرنا بأمراض خطيرة وغير متوقعة ومصائب كبيرة.

لذلك، فلنتخذ القاعدة التالية: إذا أصيب أيٌّ منا بمرض غير متوقع، فليُفكر بعمق ويبحث عن سبب إرسال الله لهذا المرض أو هذه المحنة. إذا كنا صادقين وتفحَّصنا قلوبنا بعمق فسنفهم الغاية والسبب.

فلتُنِرْنا تلك التجارب وتلك الأمراض المرسلة من الله. لا ننسينّ أبداً كلمات المسيح عن الخشبة التي في العين. لا ننسينّ الفريسي الذي اعتبر نفسه رجلاً صالحاً، لكنه لم ينل من الله ذاك التبرير الذي يستحقه العشار الخاطئ ولكنِ المتواضع.

ضعوا قاعدة لذواتكم ألا تتذكروا أعمالكم الصالحة أبداً، بل انسوها تماماً. تذكروا دائماً خطاياكم وأفعالكم السيئة فقط. وعندها ستصبحون متواضعين وتعتبرون أنفسكم خطأة أكثر من جميع الناس، والتواضع هو الفضيلة الأولى والرئيسية عند المسيحي.

لينقذْنا ربنا وإلهنا يسوع المسيح جميعاً من تبرير الذات وتقديس الذات والتعالي، وليمنحنا التواضع المقدس. آمين.

Source: St. Luke, Archbishop of Simferopol and All Crimea. Homily Two on the Week of the Publican and the Pharisee. (Delivered in 1952). Mystagogy Resource Center. https://www.mystagogyresourcecenter.com/2023/02/homily-two-on-week-of-publican-and.html

عظة في أحد الكنعانية

الأب فيليب لوماسترز
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

جميعنا مررنا بتجربة التجاهل والاستبعاد ما جعلنا نشعر بأن الآخرين لم يضمّونا أو يعترفوا بنا. سواء في المدرسة أو بين الأصدقاء أو في العمل أو في أي مكان، هذا يمكن أن يكون مؤلمًا، بغض النظر عن عمرنا أو ظروف حياتنا. ما من أحد يحبّ أن يُرفَضَ أو يتم تجاهله. لكن في بعض الأحيان، ما يبدو رفضًا لا يكون كذلك في الحقيقة؛ إنه يكون في بعض الأحيان اختباراً وإعداداً لعلاقة أكثر عمقاً نتعلم من خلالها المزيد عن أنفسنا، وعن إخوتنا، وعن الله.

حوار ربّنا مع المرأة الكنعانية كان من هذا النوع. إنها من الأمم ولها ابنة ممسوسة بالشيطان، وربما كانت نهايتها قريبة. لذلك راحت تنادي المسيح قائلة: "ارحمني يا رب يا ابن داود!" لكنه لا يجيبها، بل يقول لتلاميذه إنه أُرسِل فقط إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، أي اليهود. وإذ أصرّت المرأة في استغاثتها، قال لها: ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويُطرَح للكلاب. بمعنى آخر، بركات الله هي لشعب العهد القديم المختار، أي اليهود، وليس للأمم. لا تعارض المرأة هذا الجواب، بل تقول: «حتى الكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها». عندها امتدح المسيح إيمان المرأة وشُفيَت ابنتها.

قد نجد صعوبةً في فهم هذا المقطع. لماذا لم يشفِ الربُّ ابنتَها على الفور؟ لماذا يبدو وكأنه يستبعد الأمم من خلاصه؟ لماذا يسميها كلبة؟

للإجابة على هذه الأسئلة، علينا أن نتذكر أن اليهود في ذلك الوقت كانوا بالمُجمَل يعتقدون أن مسيحَهم لهم فقط، وأن بركات الله هي لليهود دون بقية العالم. تعرف هذه المرأة الأممية ما يكفي عن المسيح لتدعوه "ابن داود"، وهو مصطلح يهودي يشير إلى المسيح، وتعرف أنه شافٍ. ولكن عندما تبدأ محادثتها مع الرب، لم يكن نوع إيمانها به واضحاً. ومع ذلك، اتضح تماماً في نهاية المحادثة أن إيمانها به يفوق إيمان معظم اليهود والتلاميذ. ذاك لأنها تعلم أن بركات الله في يسوع المسيح تتسع لكل مَن يؤمن به، وأنه به (المسيح) يفيض فتات مائدة إبراهيم ليطعِم ويبارك العالم كله.

إن استبعاد الرب للأمم من خدمته ظاهرياً هو أداة تعليمية لمساعدة المرأة والتلاميذ على رؤية حقيقة خلاص الله وبركاته. هي لم تنكر أن اليهود، في رواية العهد القديم، هم الشعب المختار، أبناء الله. هي لم ترفض أن تُدعى إحدى الكلاب، إحدى الأمم النجسة؛ ولا بد أنها كانت تعرف أن هذه هي طريقة تفكير اليهود بها وبمَن هم مثلها. لكنها عرفت رسالة الكتاب المقدس أفضل من اليهود، لأن الله قال لإبراهيم أنه من خلاله ومن خلال عائلته ستتبارك جميع أمم العالم؛ وتصوّر الأنبياء العبرانيون اليوم الذي ستأتي فيه جميع الأمم إلى جبل الرب. والآن في يسوع المسيح، أصبح اليهود والأمم على حد سواء أبناءً محبوبين يشتركون بالكامل في بركات الله.

إن التأخير الواضح لمخلصنا في شفاء ابنتها هو أيضًا أداة تعليمية مصمَّمة لتقوية إيمانها، ولإيصال إيمانها به إلى مرحلة النضج. قد نكون جميعنا تعلمنا دروسًا مهمة من خلال الصبر، ومن خلال الاضطرار إلى المثابرة في الحصول على ما نريد. وينطبق الشيء نفسه على هذه المرأة. إن بصيرتها الأخيرة في هذه المحادثة هي مثل رؤية القديس سمعان عندما قُدِّم المسيح ذو الأربعين يومًا إلى الهيكل: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام. لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددتَه أمام وجه كل الشعوب، نورًا لاستعلان الأمم ومجدًا لشعبك إسرائيل». لقد اكتملت حياة سمعان في الصبر في انتظار المسيح عندما حمل الطفل يسوع بين ذراعيه في هيكل أورشليم. لقد أتى أخيراً مسيح الله، المخلّص. وهذه بشرى سارة لليهود والأمم وللعالم أجمع. وقد كوفئ صبرُ المرأة الكنعانية والقديس سمعان، إذ اقتبل كلاهما المسيح بالإيمان.

الكثيرون منا معجبون بالمعلمين والمدربين والأهل، أو غيرهم من المرشدين والمعلمين الذين اختبرونا، والذين لم يجعلوا الأمر سهلاً لأننا كنا ننمو من خلال توجيهاتهم الصارمة وتوقعاتهم العالية. لقد أصبحنا أشخاصًا أقوى وأكثر نضجًا وقدرة وثقة من خلال التغلب على التحديات التي ربما بدت في البداية وكأنه لا يمكن التغلب عليها. وينطبق الأمر نفسه على علاقة هذه المرأة بيسوع المسيح. لقد تحدّاها لكي يرى بوضوح أين تقف أمامه. لو كانت ممتلئة بالزهو، لكانت ابتعدت. لو كانت غير صبورة أو غير صادقة، لكانت غادرت. لكنها عرفت أنها وجدت في هذا الرجل خلاص الله لابنتها، ولم تدَعْ شيئًا يثنيها. لقد رفضت أن تُجرّد منه.

هذه المرأة الكنعانية هي نموذج رائع لنا كمسيحيين، لأننا نتخلى بسهولة عن الرب وعن أنفسنا. نحن نميل إلى الاعتقاد بأننا ما نحن عليه، وأنه لا فائدة من محاولة التغيير، وأنه حتى الله لا يستطيع أن يشفينا ويحوّلنا. من المؤكد أنه لو بقيت هذه المرأة الأممية في المنزل في ذلك اليوم ولم تُثِر الفوضى حول شفاء المسيح لابنتها، لكان ذلك أقل إرهاقاً لها. كان بإمكانها أن تقول: "أنا من الأمم وهذا المسيح يهودي. لماذا قد أطلب منه المساعدة؟" ولكن عندها كانت ستبقى حياتها وحياة ابنتها بائستين وبدون بركة الرب.

ينطبق الأمر ذاته علينا. يمكننا أن نفترض أننا مثل الأمم القديمة، مقطوعون عن الخلاص، وعن بركة الله وتغييره في حياتنا بسبب إخفاقاتنا وضعفنا ومختلف الأخطاء التي ارتكبناها في الحياة. نعم، لقد أخطأنا جميعًا ضد الله والقريب بالفكر والقول والفعل. نعم، قد نجد الأمر أقل إرهاقًا إذا استسلمنا ببساطةٍ لخطايانا المعتادة وأهوائنا التي كانت معنا لفترة طويلة حتى أصبحت طبيعتنا الثانية. ولكن إذا قبلنا الكذبة القائلة بأن الحياة الجديدة في المسيح ليست في الحقيقة لنا، وأنَّ خطايانا تحددنا، وأننا أفضل حالًا بمجرد قبول ما نحن عليه بدلاً من النمو إلى قامة المسيح الكاملة، فسوف ننتهي إلى اختيار البؤس على الفرح، والموت على الحياة، واليأس على الرجاء.

تعلمت هذه المرأة أنها هي أيضًا مدعوة لتكون هيكلاً لله الحي. امتدت وعود الله إليها أيضًا، وينطبق الأمر نفسه علينا. لا شيء يمكن أن يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا، إلا رفضنا قبول محبته، رفضنا أن نفتح حياتنا له كما فعلت هذه المرأة بالتواضع والإيمان والمثابرة.

لقد كان بإمكانها أن تبتعد عن الرب على أساس هويتها كأممية. كان من الممكن أن يكون ذلك عذرًا سهلاً، لكنها أصرّت على الاقتراب رغم ذلك. لم تختَر الخروج السهل، بل هي ثابرت في فتح حياتها له بما يتجاوز ما كان يتوقعه أي شخص في ذلك الزمان والمكان.

وعلينا جميعًا أن نتبع مثالها في حياتنا. بالصبر والتواضع والمثابرة، يجب علينا أن نطلب رحمة المسيح لنحصل على شفائه وتغييره. يجب ألا نُصاب بالشلل بسبب الشعور بالذنب أو العار، بغضّ النظر عمّا فعلناه في أي مرحلة من حياتنا. يجب أن نرفض الانشغال بمخاوفنا، وأن نرفض إغراء اتخاذ الطريق السهل من خلال اختلاق الأعذار. وبعد ذلك، مثلَها، سوف ندرك أن خلاص الله هو لنا بالحقيقة، وأنه لا حدود لحضوره في حياتنا سوى تلك التي نضعها بخطايانا وعدم إيماننا. فلنرفض، مثلَها، أن يغلبنا الخوف، وبدلًا من ذلك فلنرمِ أنفسنا تحت رحمة المسيح بشجاعة وصبر وتصميم. لأن هذا وحده هو الطريق إلى ملكوت الله.

Source: Fr. Philip LeMasters. Eastern Christian Insights. 10/1/2017. Pravoslavie. https://orthochristian.com/106706.html

موازنة الصوم الكبير

جورج تسونغرانيس
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

هل تصوم؟ أعطني دليلاً على ذلك بأعمالك. إذا رأيت رجلاً فقيراً فأشفق عليه. إذا رأيت صديقاً يكرّم فلا تحسده. لا تجعل فمك وحده يصوم، بل أيضاً العين والرجلين واليدين وجميع أعضاء جسدك. دع الأيدي تصوم بأن تكون خالية من الجشع. فلتصم الأقدام بالكف عن الركض وراء الخطية. فلتصم العيون بتأديبها كي لا تحدق في ما هو خاطئ. دع الآذان تصوم بعدم الاستماع إلى الكلام الشرير والنميمة. ليصم الفم عن الكلام البذيء والانتقاد الظالم. لأنه ما المنفعة لو امتنعنا عن الطيور والأسماك ولكنّنا نعض إخواننا ونأكلهم؟
(القديس يوحنا الذهبي الفم)

فكّر للحظة في الغرض من الحامل ثلاثي الأرجل. بحكم التعريف، هو عبارة عن حامل يوفر دعماً ثلاثي الأرجل لتثبيت الجسم الموضوع عليه. قد يكون من المفيد تأمين كاميرا فيديو لتسجيل تخرّج حفيدة من المرحلة الابتدائية أو ربما لتثبيت تلسكوب لعالِم فلك يحدق في سماء الليل الرائعة. ولكن ماذا سيحدث إذا كانت إحدى الأرجل أقصر أو إذا كانت الأرجل الثلاثة ذات أطوال مختلفة؟ لكي يوفر الحامل ثلاثي الأرجل التوازن اللازم، يجب أن تكون كل السيقان متساوية الطول.
وبشكلٍ مشابه للحامل ثلاثي الأرجل، يجب أن تتضمن مقاربتنا للصوم الكبير ثلاثة دعامات متساوية من شأنها أن تمنحنا التوازن الذي نحتاجه في صعودنا الروحي – الصوم والصلاة وعمل الرحمة. منذ الأيام الأولى للكنيسة، لم يكن الصوم الكبير يقتصر على الامتناع عن الطعام فقط. وكان الصوم الجسدي مصحوباً دائماً بزيادة الصلاة وعمل الرحمة. كعائلات، يجب علينا أن ننظر إلى هذه العناصر الثلاثة من أجل تطبيق منهج أوسع وأكثر إرضاءً للصوم الكبير. بغض النظر عن الأعمار ومستويات النضج الروحي المختلفة، يمكن لعائلتك الاشتراك في أفراح وجهادات الرحلة نحو القيامة. إن تخصيص الوقت لإنشاء خطة عائلية للصوم سيساعدك على الاستعداد بشكل صحيح لعيد الفصح. عندما تبدأ، احرص على مراجعة كاهن الرعية أو الأب الروحي للاسترشاد.

الصوم الجسدي

الصوم عن الطعام هو جانب مهم من نظام الصوم لدينا. لقد استعد يسوع المسيح نفسُه لقسوة خدمته بالصوم عن الطعام أربعين يوماً ومقاومة إغراءات الشيطان. بعد إخراج الشيطان الذي كان في ولد، تساءل تلاميذه عن سبب عدم قدرتهم على طرد الأرواح الشريرة. وبعد أن وبخ التلاميذ على عدم إيمانهم قال: "أما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم" (متى ١٧: ٢١)، مستعرضاً فضائل الصوم الصحيح. إن الامتناع عن الأطعمة الغنية والثقيلة - بالإضافة إلى مراقبة الحصص - هو أمر مطهر للجسم ويعيد تركيز جوعنا ورغبتنا في الله. نظراً لأن المتطلبات الغذائية تختلف من فرد إلى آخر في الأسرة، فإن اتخاذ القرار بشأن خطة الوجبات التي تغطي الصوم الكبير يجب أن يناقشه الأهل وغيرهم من رؤساء الأسر بإرشاد من كاهن الرعية أو الأب الروحي. قد تتجاوز الظروف الطبية أو الجسدية الالتزام الصارم بنظام الصوم الغذائي.

زيادة المشاركة الليتورجية والصلاة

كما صلى يسوع خلال فترات التجارب والمتاعب العظيمة، كذلك يجب علينا أن نتوجه إلى الله في الصلاة ليرشدنا خلال فترة الأربعين يوماً. تتيح فترة الصوم هذه العديد من الخِدَم التي تساعد على تقوية المؤمنين استعداداً للقيامة. إن خِدَماً مثل قانون القديس أندراوس الكريتي، وسبت الأموات، وصلاة النوم الكبرى،

وقداس السابق تقديسه، ومديح والدة الإله، بالإضافة إلى تخصيص الآحاد الخمسة في الصوم الكبير، تعمل على تقوية عزيمتنا. ومع أن المشاركة الليتورجية والصلاة هي من ضروريات حياتنا كمسيحيين أرثوذكسيين على مدار السنة، إلا أنه يجب شحذ هذه الأدوات والأسلحة بشكل خاص خلال الصوم الكبير - وهو الوقت الذي سيغرينا فيه، إلى ما لا نهاية، المخادع العظيم، الشيطان، بالتشتيت ليحوّل تركيز انتباهنا بعيداً عن الله. ينبغي زيادة الصلاة الفردية، بالإضافة إلى الصلاة الجماعية. يجب أن تجتمع العائلات معاً أمام الأيقونسطاس المنزلي بشكل متكرر. ركّزوا على جودة وتكثيف صلاتكم وليس بالضرورة على مدتها. تحدثوا مع كاهن رعيتكم أو أبيكم الروحي لمزيد من الاسترشاد حول تطوير قانون صلاة الصوم لعائلتكم.

عمل الرحمة

غالباً ما يتم تجاهل عمل الرحمة بشكل كامل خلال موسم الصوم. في كثير من الأحيان، يبدو أن عمل الرحمة المسيحي يقتصر على حملة الطعام في عيد الشكر أو تقديم الهدايا الخيرية في عيد الميلاد. على الرغم من روعة هذه الأعمال السخية، كيف يمكننا أن نهمل واجبنا في مساعدة الآخرين بينما نستعد للاحتفال بعيد الأعياد وجوهر إيماننا – قيامة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح؟ نحن نعلم كمسيحيين أنه لا يوجد وقت محدد لاحتياجات الإنسان ومعاناته. فكم بالحري يجب أن نلبي احتياجات البشرية في هذا الوقت المبارك! قال يسوع المسيح بنفسه: "لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضاً فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ... اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ" (متى ٢٥: ٣٥-٤٠ - إنجيل مرفع اللحم/الدينونة).

هنا، كعائلة، قد تبدعون كثيراً في ابتكار طرق لعمل الرحمة خلال الصوم الكبير. اجمعوا الملابس غير المستخدمة والمعلقة في الخزانة لتوزيعها على المحتاجين. أمسكوا بعض المعلبات من مؤونتكم لتقديمها إلى بنك الطعام. اذهبوا لزيارة أحد أفراد عائلة الرعية المريض في المستشفى. أصغوا بتعاطفٍ إلى صديق يمرّ بأوقات عصيبة. قوموا بزيارة دار لرعاية المسنين لترنيم "المسيح قام" لمشاركة فرح قيامة يسوع المسيح مع إخواننا الأرثوذكس. إن عمل الخير يتجاوز بكثير تقديم الهدايا المادية. إنه أيضاً إعطاء قلوبنا وعقولنا للمرضى والمحبطين والوحيدين.

وقبل كل شيء يجب أن نثبت في المحبة. كعائلة، اختاروا كلماتكم بحكمة عند مخاطبة الآخرين. تحلوا بالصبر والمراعاة. سامحوا ضغائن الماضي واطلبوا التفاهم. إذا كنتم لا تعترفون بانتظام، فهذا هو الوقت المبارك لطلب مغفرة الكنيسة وتقديسها قبل الحصول على المناولة المقدسة والمسحة المقدسة. يجب أن ندرك أن هذه الأسرار تُعطى بمحبة وتمنحنا نعمة الله الوافرة دائماً.

الصوم والصلاة وعمل الرحمة: مثل الحامل ثلاثي الأرجل، نحتاج إلى هذه العناصر الثلاثة للحفاظ على توازننا أثناء الصوم الكبير. عندما نكون في حالة توازن، نكون قادرين على اختبار بهاء القيامة بشكل كامل وإعلان: المسيح قام! حقاً لقد قام!

Source: George Tsongranis. Balancing Great Lent. Greek Orthodox Archdiocese of America Library. Prayer & Spiritual Life Articles. Published 3/30/20. https://www.goarch.org/-/balancing-great-lent

أدوات الصوم الكبير

الأب تيودور دورانس
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إذ أجلس لكتابة هذا المقال، أجد صعوبة في أن أصدق أن الصوم الكبير قد أصبح قاب قوسين أو أدنى. يبدو أننا بالأمس فقط كنا في خضم قداسات صوم الميلاد الأربعين. أشكر الله على آحاد ما قبل الصوم، زكا والمرأة الكنعانية والعشار والفريسي وغيرها. إنها بمثابة عملية إحماء قبل المباراة الكبيرة تساعدنا أيضاً على زيادة تركيزنا على الرحلة المقبلة.

الصوم الكبير هو في الواقع رحلة. إنه رحلة توبة، رحلة إلى قرب الله، حيث يمكننا، بنعمة الله، أن نشارك ونختبر تواضع المسيح ومحبته وانتصاره على الخطيئة والموت. نبدأ في يوم أحد الغفران سعياً إلى مصالحة أنفسنا مع بعضنا البعض من خلال طلب المغفرة بشكل ملموس من كل أبناء الرعية. وبمنظور أفقي، يعمل هذا على تطهير الواجهة روحياً وتزويدنا ببداية نظيفة. إن نقطة البداية لهذه الرحلة تُقدَّم لنا أيضاً في أحد الغفران هذا. لقد أُعطينا صورة آدم جالساً خارج الفردوس منفياً ومملوءاً بالحزن. إنه ينظر إلى ما فقده. تبدأ رحلة الصوم عندنا بالتماثل مع آدم القديم. نحن أيضاً منفيون روحياً من الفردوس، ولكن بدلاً من النظر إلى الوراء، ينصبّ تركيزنا على الأمام. إن وِجهة رحلتنا هي الآلام الخلاصية لربّنا يسوع المسيح، آدم الجديد، وصلبه وقيامته المجيدة في اليوم الثالث.

إن هدفنا ليس مجرد البقاء على قيد الحياة في الصوم الكبير والوصول إلى أسبوع الآلام والفصح. نريد بقدر استطاعتنا أن نشارك وندخل في السر الداخلي لآلام ربنا وصلبه وقيامته. بنعمة الله وتآزرنا، ينبغي لنا أن نجعل ذبيحة محبة يسوع حقيقة حاضرة في حياتنا وأن نختبر أكبر قدر ممكن من نعمة هذا الموسم. ولتحقيق هذا الهدف، زودتنا الكنيسة ببعض الأدوات المهمة: الصلاة، والصوم، وعمل الرحمة، والاعتراف.

تأخذ الصلاة أشكالاً عديدة، لكن في جوهرها، ذِكر الله هو الذي يبقينا في شركة معه. وبالطبع، فإن التزامنا الشخصي بقاعدة صلاتنا ومشاركتنا في خِدَم الصوم الجميلة هي طرقٌ ووسائلٌ تساعدنا على الحفاظ على ذِكر الله هذا. يجب أن يكون هدفنا هو تذكّر الله والحفاظ على اسم يسوع على شفاهنا، وفي أفكارنا، وفي قلوبنا كلما أمكن ذلك.

إن الصوم يعطي أجنحة لصلواتنا. يعدّ تناول الطعام أمراً أساسياً في حياتنا، لدرجة أن الامتناع عن بعض المجموعات الغذائية الرئيسية والتقليل من تناول الطعام يكون بمثابة تذكير دائم بذِكر الله والصلاة. بالإضافة إلى ذلك، فإن إنكار بطوننا يساعدنا أيضاً على تذكيرنا بأهمية نفوسنا وبأن نكون ساهرين على حواسنا وأن نحرس أفكارنا ودوافعنا. كما يدرب الرياضي جسده، نحن، كرياضيين روحيين، نتدرب نفسياً وجسدياً للفوز بإكليل النصر الذي لا يفنى.

بقدر ما نصوم بشكل صحيح، يزيد الوقت والمال الذي يجب أن نتقاسمه مع الآخرين. كما أن الصوم يساعدنا على أن نرى بأعيننا الروحية وجهَ ربنا وصورتَه في الآخرين بوضوح أكبر. كلا هذين العاملين يساعدان في ممارسة عمل الرحمة بنجاح، وهو الأداة الثالثة في ترسانتنا الروحية للصوم. يشمل عمل الرحمة أيَّ عمل من أعمال المحبة تجاه الآخر؛ إنه اقتداء بالمسيح الذي هو مصدر كل رحمة. أن نكون رحومين مع الآخرين يليّنُ قلوبنا ويصبح وسيلة لبلوغ كل الفضائل ويقربنا من قربنا ومن الله.

إن الحياة الحقيقية والوفيرة ليست متاحة لنا من أنفسنا. لقد تعلّم الإنسان الأول، آدم، هذا الدرس المؤلم. فبقوته الشخصية وثقته بحكمته وقع في التجربة وانخدع بأكاذيب الحية. تريدنا الكنيسة أن نتعلم من أخطاء آدم. ولهذا السبب نتذكر منفاه عندما نبدأ رحلة التوبة. بغض النظر عن مدى صعوبة محاولتنا، ما لم نتعلم الاعتماد على قوة الله ونعمته، فلن نتمكن أبداً من الصلاة أو الصوم أو أن نصبح رحماء. التوبة والخلاص مستحيلان بدون الله. كان ربنا يعرف هذا جيداً؛ كان يعلم أننا في ضعفنا سنجاهد في حياتنا المسيحية، وأننا

نسـقط ونقـوم، نسـقط ونقـوم. لهـذا السبب يقـدم لنا ربنا يسـوع المسـيح العطية العظيمـة وهي سر الاعتراف المقدس.

أمر يسوع بأن رسله وخلفاءهم، الأساقفة والكهنة، ينبغي أن ينالوا نعمة الروح القدس ليشتركوا ككهنة مُسامين في كهنوته الأعظم ومنح غفران الخطايا للذين يأتون بكل تواضع وانسحاق للاعتراف بخطاياهم . إن الاعتراف هو سر التوبة، سر المصالحة مع الله. إنه جزء ضروري من الحياة المسيحية، وعلينا أن نستفيد من هذا السر المقدس بشكل منتظم، خاصة إذا كنا نتناول بانتظام المناولة المقدسة – وهذا ينطبق بشكل خاص خلال الصـوم الكبير. لأسباب عملية، يجب أن نحـاول الاعتراف قبل أسـبوع الآلام. سبب آخـر مهم للاعتراف قبل أسبوع الآلام هو أن الاعتراف هو تحضير روحي مهم لسر المسحة المقدسة الذي يُقام يوم الأربعاء المقدس.

إخوتي وأخواتي الأعزاء في المسيح، لقد دخلنا زمن النعمة الخاص. لا يوجد وقت آخر من السنة يشبه الصوم الكبير وأسبوع الآلام. آمل أن نحاول جميعاً الاستفادة الكاملة من المواضيع والخِدَم الخاصة والأدوات الثلاث، الصلاة والصوم وعمل الرحمة، بالإضافة إلى زيادة فرصة الاشتراك في الأسرار المقدسة، المناولة المقدسة والمسحة المقدسة وبشكل خاص الاعتراف المقدس. ليباركنا الرب المصلوب والقائم من الموت راجياً لكم أربعينية مثمرة وقيامةً بهِجة!

Source: Fr. Theodore Dorrance. Tools for Great Lent. St. John the Baptist Greek Orthodox Church. Pastoral Messages. March 13, 2012. https://stjohngoc.org/tools-for-great-lent/

الأخوّة في الكنيسة†

الخورية سميرة عوض ملكي

يروي لنا إنجيل هذا الأحد عن المجيء الثاني لابن الإنسان أي الرب يسوع المسيح، وهو مَثَل الدينونة الأخيرة. ويُتلى هذا المَثَل أيضاً في أحد مرفع اللحم المعروف بأحد يوم الدينونة. لهذا، التفسير اليوم سوف يكون عن الرسالة منعاً لتكرار التفاسير وللمزيد من المنفعة الروحية التي تحملها لنا الرسائل أيضاً.

يتحدّث الرسول بولس في هذا النص عن مسألة الأكل من الذبائح المقدّمة للأوثان. وهو يتناول هذه المسألة في أكثر من مكان في هذه الرسالة ليحذّر مؤمني كورنثوس من عبادة الأوثان والأكل على موائد الأوثان. وكونه هو الذي أنشأ الكنيسة في مدينة كورنثوس فهو يحسم هذا الأمر ويشدد في هذا المقطع على أنه لا وجود لأي إله آخر غير الله "الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ" (١كورنثوس ٦:٨). وتوضح هذه الآية تعليم الرسول بولس حول اللحوم المذبوحة للأصنام لأنه يقدّم تعارضاً جذرياً بين المعتقدات الوثنية والإيمان بالرب يسوع. فيسير في الخط التوراتي "الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (تثنية ٤:٦).

إذ لم يجد بولس أفضل مما جاء في العهد القديم وسيلة تعليم توضيحية ترسخ في أذهانهم. لكن تبرز عنده مشكلة أن العهد القديم هو منهل التراث اليهودي، فكيف سيفهم مؤمنو كورنثوس، تلامذة المسيح، العلاقة بينهم وبين يهود العهد القديم، تلامذة موسى، حاصةً أن غالبيتهم كانت من خلفية وثنية وثقافتهم يونانية. فعمل بولس على حلّ المشكلة بإظهار القاسم المشترك بين الفريقين والذي هو المسيح. لهذا يؤكد أولاً على وحدة الله، كما جاء في تثنية الاشتراع، ثم يمسحن هذا الاعتراف الإيماني بإضافة "رَب وَاحِد يَسُوعُ الْمَسِيحُ".

فهم بعض المؤمنين تعليم بولس حين قال: "نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ" بأنه يمكن للمؤمنين أن يأكلوا مما ذُبِح للأوثان لأن لا وجود للأوثان. ونَمَت هذه الأفكار في أذهان الكورنثيين جرّاء هذا التعليم وانتفخوا كثيراً لهذه المعرفة التي حررتهم من أوهام الأوثان. فلم يرفضوا موائد الأوثان أو امتنعوا عن الذهاب إلى معابدهم والاتكاء في هياكلهم والأماكن التي تُباع فيها هذه اللحوم. كما صاروا يفتخرون بذلك لأنهم من أصحاب "المعرفة" أما غيرهم من المؤمنين فبسطاء وجهّال. هذا الموقف سبّب الكثير من المشاكل في حياة المؤمنين الضعفاء. إذ لما شاهدوا إخوتهم يُقبِلون إلى الأكل من ذبائح الأوثان في الأمكنة العامة، تشجّعوا ليأكلوا هم أيضاً وهكذا تزعزعت ركائز إيمانهم.

وفي علاجه لهذه المسألة يكتب قائلاً: "وَلكِنْ ما كل واحد يعرف هذه الحقيقة" (٧:٨)، أي أن الوثن لا كيان له. وأن الطعام لا يقرّبنا إلى الله وإن لم نأكل لا نبتعد عن الله. كلها أمور خارجية لا تطال الجوهر. لهذا نجده يركّز على المحبة الأخوية ومراعاة الأخ صاحب الضمير الضعيف "الذي مات المسيح من أجله". هذه العبارة تشير إلى الفداء بموت المسيح فداء عنا، ومن هذا المعنى ينشأ ما يريده بولس هنا، وهو أننا يجب أن لا نحتقر أي مؤمن حتى ولو كان ضعيفاً، بسيطاً، لأن المسيح وحّد نفسه بالضعفاء والصغار والمحتاجين والمتألّمين، فطوبى لمَن يحسن إليهم فإنه بهذا يحسِن إلى يسوع نفسه وهذه هي خلاصة إتجيل اليوم أيضاً.

فالخطيئة لا تقوم على أكل اللحم بل في أن نجعل أخانا يعثر. لأن المسيح مات من أجل القوي ومن أجل الضعيف. ونحن حين نسبب السقوط لأخينا نحطم الوحدة الأخوية بين أعضاء المسيح. لأن الأخوّة بين المسيحيين في الكنيسة ليست ناتجة عن رباطات عائلية، عشائرية، وطنية أو حزبية... إنما أخوّتهم في الكنيسة هي نتيجة بنوّتهم لله التي تمّت بيسوع المسيح والتي تكوّن هذه الوحدة بينهم.

† عن نشرة الكرمة، الأحد ١٠ آذار ٢٠٢٤.

في التقليد والرعاية والتعبير عنهما

إحدى المؤمنات

صدر مقال عن أحد الرؤساء أثار جدلاً بين بعض المؤمنين مما حدا بإحدى الأخوات إلى كتابة ما يلي. إن سياسة أسرة التراث الأرثوذكسي هي الحفاظ على الصفحة كمجلة لا مدونة. من هنا أننا نتشدد في اختيار الآراء التي ننشرها كي تبقى دائماً في الخط والتعليم اللذين ننتهجهما ونؤمن بهما. لهذا ننشر هذا الرأي قناعةً بأنه يعبّر عن هذا الخط شكلاً ومضموناً (أسرة التراث الأرثوذكسي).

من المؤكد أن موضوع التمسك بالتقليد (سواء عنينا به التقليد المقدس أو تقاليد البشر) يثير الخلاف ما بين متمسك ومُجدد. سواء كان التمسك مُحقاً أو مجرد تعصبٍ أعمى أو كان التجديد تراخياً وتماهياً مع ما هو خاطئ أو كان ضرورةً هدفها الالتقاء بإنسان اليوم حيث هو لأخذه حيث يشاء الروح القدس.

ولكنَّ طرح أي موضوعٍ من قبل المرجعيات الروحية بعمومياتٍ ودون أمثلة واقعية يومية وشائعةٍ قد يسبب ضرراً أكثر مما يفيد، أياً يكن الرأي الذي يدعمه هذا الطرح، وذلك لأنه يتيح لكل طرفٍ أن يجد في موقف المرجعيات حجةً لمهاجمة الطرف الآخر، بدلاً من التأمل في ما هو مكتوب، واعتباره مرآة تكشف واقعه، وإسقاطه على حياته ومواقفه الشخصية لتصحيح ما هو خاطئ منها أو الالتزام بما هو صحيح.

ينطبق ذلك على موضوع "التقليد"، سواء كان الطَّرح في صفِّ المتمسكين به أو في صف دعاة التجديد، إذْ أنَّه ما لم يوضِح أيُّ موضوعٍ أو مقالٍ أو حديثٍ في هذا الشأن القواعدَ التي يستطيع المؤمن بموجبها تقييم صحة موقفه من التقليد، أو ما لم يطرح هذا المقال أو الحديث أمثلة عملية في هذا الخصوص ويُشرْ إلى المراجع الروحية المتعلقة به، فإن المؤمن يبقى حائراً تتلاطمه أمواج التعصب حيناً والتراخي حيناً آخر، لا يدري أيُّ الأمورِ المستحدثةِ خاطئةٌ يجب تجنبها كتجنب النار، وأيُّ الأمور "العتيقة" قشورٌ أو "سبتٌ" جُعِل للإنسانِ وليس الإنسان للسبت. تزداد المشكلة عمقاً إذا لم يكن مؤمنُ اليوم على علاقةٍ وثيقة بتقليد الكنيسة المقدس المُسلم لنا عبر العصور، وإذا لم يكن تحت إرشاد أبٍ روحي مستنيرٍ يستطيع أن ينقل إليه رحيق هذا التقليد بأمانة.

إذا ما نظرنا من حولنا اليومَ وجدنا السواد الأعظم من المسيحيين غير متمسكين بالتقليد، بأي تقليد، والاستثناءات قليلة إن لم تكن نادرةً، وصوتها خافتٌ أمام ضجيج حرّيات هذا العصر. فعصرنا اليوم يضع أمامنا من المغريات أو الصعوبات ما يكفي لجعلِ معظمنا يتراخى هنا أو هناك ويغض الطرف عن أمورٍ جوهرية، وآخرُ ما يحتاج إليه مؤمن اليوم هو حديثٌ عامٌ موجهٌ لانتقاد التمسك بالتقليد، حتى وإن كان القصدُ منه تلك القشور التي لا تمس جوهر الإيمان وأولئك الـ "المتزمتين" الحَرفيين الذين يقتلون الروح. ففي حين أن النية من النقد صالحةٌ إلا أن التعبير عنها بعموميات بدون تحديدٍ وتمييز واضح يُفضي إلى نتائج سلبية!

فإذا كان الالتزام بالتقاليد بدون تمييز يفرض أحمالاً ثقيلةً على المؤمن، فإن الـ "التحرر" و"التجديد" بدون تمييز أيضاً يؤدي بالمقابل، ولو بشكلٍ تدريجي، إلى تفلُّتٍ وانحدارٍ مثل مركبةٍ تنزل منحدراً بدون فرامل، وما لم توقفها العناية الإلهية فإن نهاية الطريق تكون وخيمة بلا شك. إذ لا يخفى على أحدٍ أن الاستهتار أو التراخي أو حتى معاداة التقليد هي الأمور عينها التي أوصلت الغرب إلى حالة انحطاطه الروحي اليوم.. وها نحن نشهد الحملات والمسيرات والقوانين والتشريعات لدعم الإجهاض والمثلية وغيرها من الانحرافات الأخلاقية التي ما كان لمسيحيي القرون الأولى أن يتصوروها حتى، فكم بالحري أن يناصروها. وكان الختامُ مؤخراً بسماح بابا الفاتيكان لكهنته بمنح البركة للأزواج المثليين، تحت شعارات المحبة وقبول الخاطئ ورفض الخطيئة.

فإلى أين نحن ذاهبون؟ إذا ما بدأ كلٌّ منا، وهو معصوبُ العينين، بالتلويح بسيف "التجديد" ظانّاً أنَّه "سيف الروح" عينه، مدفوعاً بحديثٍ روحيٍّ أُسيء فهمه، فلا بد في النهاية من أن يَطعن حتى التقليدَ المقدس نفسه،

وبعضُ الطعنات قاتلة... فهل سنسير في ذلك الطريق الذي ساره الغرب قبلنا، ظانين أننا نقود موكب محاربة "الجمود" والـ"التعصب" والـ"التزمت"؟

ليت رُعاتنا لا يضعون بين أيدينا سيوفاً ذات حدَّين، نطعن بها بعضنا بعضاً بالحق حيناً وبالباطل حيناً آخر. ليت كتبهم وعظاتهم وأحاديثهم تكون واضحةً صريحة مباشرةً، تبتعد عن الضبابية وعن عرض المفارقات في حياة الرعية دون الإشارة بوضوحٍ إلى الصحيح منها وإلى الخاطئ، أو دون إعطاء كلمةِ فصلٍ تضع الأمور في نصابها الصحيح وتقوِّم المعوجَّ منها. ليت رعاتنا يشخّصون الأمراض بدقةٍ ويوصفون أعراضها قبل تقديم العلاج سواء كان بلسماً شافياً أو عمليةً جراحيةً أو بتراً نهائياً، لئلا يتركوا لنا، نحن المرضى، مهمة تطبيق العلاج، والذي غالباً ما نطبقه على قريبنا ظناً منّا أنه هو المقصود وليس نحن. وفي الختام، لَيتهم يمضون بنا إلى المناهل الروحية التي استقوا منها إرشاداتهم، علَّنا نتواضع ونعود إليها بأنفسنا وقت الحاجة حين يعوزنا التمييز وتنقصنا الحكمة.